مجلة بحوث الإعلام والاتصال
مجلـــــة علميـة محكـمة تصـدر عـن الشبكـة العربيـة لعلـوم الإعلام و الاتصال

رئاسـة التحريـر
أ.د. نور الدين الميلادي
أ.د. جمـــال الـــزرن
د. المعز بن مسعـــود

تاريخ التسليم: 2021/02/12
تاريخ القبـول: 2022/01/15

التاريـــــخ: ربيع 2022
رقم المجلد: (1)

د. منجي المبروكي
أستاذ الإعلام والاتصال - جامعة قرطاج، تونس

تعاطي وسائل الإعلام مع جائحة كوفيد-19 بين التمثّلات الاجتماعية ومظاهر التضليل الإعلامي

الملخّص:

يهتمّ المقال باستقراء طريقة تعاطي وسائل الإعلام العربية، والتونسية بصورة خاصة، مع جائحة "كوفيد-19" وما تخلّلها من مظاهر التضليل الإعلامي والتلاعب بالمعلومات. منطلقًا من مقاربة تفسيرية تحاول فهم تأثير الأزمة الوبائيّة على الخطاب الإعلامي، خاصة أن هذه الأزمة تجاوزت المجال الصحّي، لتطَال تداعياته أبعاد الواقع بكل مكوّناته الاقتصادية والاجتماعية وغيرها. فلقد تقلّص الإنتاج حدّ التوقف، خاصّة لمّا ألزم الحجر الشامل جلّ الفئات بالمكوث في البيو ت، ما سوى الحد الأدنى منها الذي يكفل استمرار الخدمات الحياتية الأساسية.

وقد فضّلنا ألّا يكون تناول وقع الأزمة الوبائية على الخطاب الإعلامي منفصلًا عن فهم تمثّلات التونسيين وتصوّراتهم الاجتماعية لجائحة "كوفيد-19"، متوقّعين أن يكون لتلك التمثّلات تداعيات على نوعية السلوكيات التي تطفح، والتي يُخشى أن تنزاح نحو بعض مظاهر العنف اللفظي أو المادي. وافترضنا أن الخطاب الذي أصدرته وسائل الإعلام التونسية، وخاصة الصحافة المكتوبة موضوع متابعتنا في الفترة الوبائية، يستبعد أن يكون محايدًا في وقعه على الجمهور وتأثيره فيه. فهل يرجّح أن يركّز ذلك الخطاب إلى أدوار التهدئة والتثقيف الصحفي والتوعية المواطنية في مراحل القلق والتهيج والاضطراب؟ أم يكون مفعوله عكس ذلك، فيزيد في عوامل الإثارة والشك، خاصة عبر نشر الأخبار الزائفة وتعقّد التضليل الإعلامي؟

ولبلوغ تلك المقاصد اختار الباحث مقاربتين منهجيتين، استعان في الأولى بمجموعة نقاش بؤرية مكوّنة من تسعة جامعيين من اختصاصات العلوم الاجتماعية (مبروك وآخرون، أفريل-ماي 2020)، من أجل رصد أهم تمثّلات التونسيين نحو وباء "كوفيد-19". واستخدم في الثانية المنهج الوصفي التحليلي لتحيل خطاب عيّنة

مجلة بحوث الإعلام والاتصال: السنة الأولى ـ العدد الأول ـ 2022، © حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، لندن، المملكة المتحدة
© Journal of Media & Communication Research, London, United Kingdom

من المقالات الصحفية، تحليلًا كيفيًا يساعد على فهم سمات ذلك الخطاب وخصائصه العامة في التعبير عن الأزمة الوبائية، وما أفرزته من سلوكيات وتداعيات.

وقد أظهرت نتائج تحليل مجموعة النقاش البؤرية أن تمثّلات التونسيين نحو الوباء ليست متجانسة، حيث تزامن وجود تصوّرات خرافيّة وهلاميّة وتبسطيّة صادرة عادة عمّن كان زادهم العلمي والثقافي محدودًا، مع بروز تصورات عقلانية وواقعية وحتى استشرافية لمن يتنزّلون غالبا من أوساط أرفع مقدارًا في الوعي والتعليم والثقافة. ونتج عن تلك تمثلات الفئة الثانية وجود نزعة إيجابية ميّالة إلى تغليب روح جماعية تضامنية، تروم المشاركة في إنتاج حلول تساعد على الخروج من عتمة الأزمة؛ مقابل نزعة تدميرية لدى الفئة الأولى تتجلّى في أنانية مفرطة تبحث عن الخلاص الفردي لأصحابها، ولو كان ذلك على حساب الأضعف والأقلّ جهدًا أو حظًا في المجتمع.

ولم تكن نتائج تحليل الخطاب متناقضة مع ما تمخّض عن حلقات نقاش المختصّين في العلوم الاجتماعية، إذ أن الخطاب الإعلامي تباين بين الموجة الأولى والثانية من انتشار وباء "كوفيد-19"، بين اتّجاه غلّب في البداية خدمة "الأجندة الطبّية"، لذلك رأينا حينها كيف أنه "لا صوت يعلو فوق صوت مقاومة الوباء"، وكيف أن الفريق الحكومي فسح مجال المبادرة للأطباء والطواقم الصحية في التدخّل وفي تصدّر المنابر الإعلامية. لكن ذلك لم يعمّر طويلًا، ففي الموجة الوبائية الثانية سريعًا ما عاد التجاذب إلى الحياة السياسية، وتجلّى ذلك في الخطاب الإعلامي؛ فزاد في ظلّ ذلك المناخ منسوب التضليل الإعلامي والتلاعب بالمعلومات. ولم تكن تلك الظواهر خاصة بالحالة التونسية، بل نجدها تفشّت، ولو بنسب متفاوتة، على المستوى العالمي وِفق تقديرات منظمة الصحة العالمية (منظمة الصحة العالمية، 2020)، وهو ما استنفر هياكل مهنة الإعلام من مسؤولين ونقابيّين ومراكز مختصّة (مركز تونس لحرّية الصحافة، 2020) من أجل الحدّ من البسلوكيّات والخروقات المخلّة بضوابط المهنة. والانتقال من الخطاب النقديّ لإفرازات الأزمة الوبائيّة، نحو استثمار ما نتج عن الأزمة من أجل الإصلاح وإعادة البناء. فالجائحة التي جعلت من العمل عن بعد، حلًا اضطراريًا، يمكن العمل على استثماره فيكون جهدًا وطنيًا لإنتاج حلول مستدامة تعيد النظر في تنظيم المهنة، وفي توزيع الأدوار بين الإعلاميين، وإعادة تنظيم الفضاءات الإعلامية وطرق استغلالها داخل المؤسسة وخارجها وفي المنزل، عبر استثمارٍ أمثلَ للتكنولوجية الرقمية، وما توفره من قيم مضافة.

الكلمات المفتاحيّة:

الخطاب الإعلامي، إعلام الأزمة، التمثّلات الإجتماعية، كوفيد-19، الإعلام التونسي.

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

مقدّمة:

يَعتبر عالم الاجتماع التونسي المنصف وناس أنّ من سمات المجتمع التونسي أنّه "مجتمع أوبئة ومجاعات، فقد لازم (في نظره) الطاعون والجوع تاريخ تونس منذ القدم، وأنه عانى تاريخيًا من التفكّك البنيوي والتفقير المتعمّد ومن الأنيميا الاجتماعية الفجئيّة، وهو ما جعله ملتاعا تاريخيًا من الأوبئة" (وناس، 2009، ص71)؛ ويستنفره احتمال تكرارها وتجدّد المعاناة التي تنجرّ عنها. لذلك فإن الظهور المفاجئ لـ"كوفيد-19" في بداية سنة 2020، حرّك ما في المخيال التونسي من فوبيا تجاه الأوبئة والمجاعات. وبما أنّ الإعلام يرصد كلّ مشاغل المجتمع وخاصة ما يبرز منها، فقد كانت الأزمة الوبائية ضمن هرم أجندته، ولم تكن تغطيته لمساراتها منفصلة عن "وباء التضليل وتزييف المعلومات".

تقتضي الأمانة العلمية التدقيق بأن التضليل الإعلامي والتلاعب بالمعلومات في وسائل الإعلام التونسية أو العالمية، لم تظهر فقط في تزامن مع امتحان البشرية بوباء "كوفيد-19"، ولا أنه يعود إلى بداية ثورة تكنولوجيا المعلومات في تسعينات القرن الماضي، بل تفيد المصادر التاريخية أن الحرب النفسيّة التي اعتمدها أدولف هتلر ضد خصومه، كانت تقوم على تقنيّات الكذب وتزييف المعطيات، وأن التاريخ الطويل للحروب والنزاعات في حياة الشعوب والحضارات لا يخلو من تحريف الحقائق والتلاعب بالمعطيات.

وقد كان للتطوّر التكنولوجي في حقل الإعلام والاتصال مزايا جمّة استفادت منها البشرية، لكنّها لا تخلو من عيوب منها تيسير التلاعب بالمعلومات وبث الإشاعات. وتزداد خطورة تلك الممارسات حين تتورّط في إنتاجها مؤسسّات إعلامية، تُصنّف حين تسترسل في ذلك، على أنها إعلامٌ رماديٌ يُستخدم للتحكّم والضّبط بهدف البلبلة والسّيطرة على إرادة الأشخاص والأفراد والمجتمعات (الطائي، 2011، ص55). وتزيد خطورة التضليل الإعلامي حين يتزامن مع جائحة مثل فيروس "كوفيد-19" فيعّمق الإحساس بالأزمة ويزيد من مضاعفاتها، وتلك هي الدوافع الرئيسة للاهتمام بهذا الموضوع.

1. الاجراءات المنهجية:

إن دراسة تعاطي الإعلام التونسية مع الأزمة الوبائية يستلزم رؤية منهجية وظيفية، لأن الدراسات الإعلامية تشكو عمومًا، من أنّها تستخدم عُدّة منهجيّة كبيرة للوصول إلى نتائج متواضعة (العياضي، 2010، ص 1473). لذلك نحاول في هذا المقال تحليل السّمات العامة للخطاب الإعلامي، وفهم ما ينتج عن أزمة "كوفيد-19" من إرباك وتعطيل لأنساق الحياة العادية؛ خاصة أنه في تلك السياقات يقع ترجيح تأويل معيّن للأحداث، وتعبئة للجمهور باتّجاه مواقف محدّدة تصل حدود التلاعب بالعقول، والدّفع نحو رؤية متحيّزة للأحداث (بورديو، 2004).

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

وبما أن الوضع الوبائي متغير مهم في التأثير على الأداء الإعلامي وسياقاته ومخرجاته، فقد سعينا إلى إفراد فقرة تُعنى بتقدير المختصين في العلوم الاجتماعية لتمثّلات التونسيين عن فيروس "كوفيد-19"، وذلك باعتماد مجموعة بؤرية للنقاش، تتكون من 9 الجامعيين في اختصاصات العلوم الاجتماعية (الفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعي، والتاريخ، والاستشراف الاستراتيجي) تمثل نتائجها أرضية تساعد على تحليل الخطاب الإعلامي حول الجائحة، وفهم أهم سماته وخصائصه.

1-1 تحليل الخطاب الإعلامي:

إن تحليل الخطاب الإعلامي يعدُّ "تطوُّرًا مهمًا في مجال التحليل الكيفي للرّسائل الإعلامية وشروط إنتاجها وتفاعلاتها مع الظروف التاريخية والمجتمعية (شومان، 2007، ص33). وهو يندرج ضمن المنهج الوصفي التحليلي" الذي يصف الظاهرة كما توجد في الواقع، ويتمّ التعبير عنها كيفيًا بغرض الوصول إلى استنتاجات تُسهِم في فهم التصوّرات من خلال تحليل النتائج وتفسيرها (عبيدات، ذوقان، وعدس، عبد الرحمن، 1998). وبالنظر لميل دراسات تحليل المضمون الإعلامي فيما مضى إلى تغليب المقاربة الكمية، فإن صوفي موارن (Moirand . S) الباحثة المختصة في تحليل خطابات الصحافة اليومية، تؤكد على أهميّة مُساءلة نصوص الإعلام أكثر من التوقّف عند إحصاء الكلمات والصيغ والأقوال (موارن، 2009، ص26) التي تتبنّاها منهجيّة تحليل المحتوى. وبالتالي فإنّه في مثل دراستنا، نكون أحوج إلى التحليل الكيفيّ لفهم أهمّ سمات الخطاب الإعلامي إبّان جائحة "كوفيد19-"، ونستعين قبل ذلك بمجموعة نقاش بؤريّة المكوّنة من نخبة من أساتذة العلوم الاجتماعيّة، من أجل تحديد تمثلات التونسيين نحو وباء كوفيد19-، باعتبار أن تلك التمثّلات ستؤثّر في سلوكهم وتعاطيهم مع المرحلة الوبائية، وهو ما نحاول الاستفادة منه في قراءة تعامل وسائل الإعلام التونسية مع تلك الجائحة.

نعتمد في تحليل الخطاب على دراسة عيّنة من المقالات الصحفية الصادرة في صحف ورقية أو الكترونية أو في مواقع خاصة بالقنوات التلفزيونيّة، في الفترة الوبائية الأولى أبريل-ماي 2020. وقد وقع الاختيار من ضمن الصحف الورقية على: الشروق، والمغرب، والرأي العام (صحف تونسية) والعرب، والقدس العربي، والشرق الأوسط (صحف عربية)؛ ومن ضمن المواقع والصحف الالكترونية: نواة، والعربي الجديد، nationshield، noonpost، news.tunisiatv، ومواقع القنوات التلفزيونية: البريطانية BBC، والفرنسية Fr24 والألمانية Dw، والقطرية التي تبث من لندن: العربي، وهي مجموع وسائل الإعلام التي وقع اختيار مقالات وتقارير صحفية تهتم بوقع وباء "كوفيد19-" وتأثيره على المجتمع وعلى وسائل الإعلام نفسها، مع إيلاء الأولوية لتلك التي تتناول الواقع التونسي في المقام الأول.

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

2_1 مجموعة النقاش البؤرية:

تمثّل مجموعة النقاش البؤرية طريقة كيفيّة في البحث الاجتماعي تتميز بإتاحة الفرصة للمشاركين في تناول موضوع محدّد، ضمن مجموعة يتراوح عددها بين 6 و12 فرد على الأقصى، من أجل التوصّل إلى سبر تصوّراتهم وتمثّلاتهم أو مقاربتهم الجماعية لموضوع أو قضية محدّدة (Baribeau, 2009, p135-138). تنعقد المناقشة عادة لمدة تتراوح ما بين 90 و120 دقيقة، عبر التواصل المباشر بين أفراد المجموعة، أو باعتماد تقنيات الاتصال عن بعد. وقد تمّ إعداد دليل جلسات النقاش اعتمادًا على خطوات بروتوكول نقاش المجموعات المركّزة، أعدّه الباحث للغرض وتحدث فيه مليًا مع مجموعة النقاش، قبل البداية الفعلية لحلقات النقاش وخلالها.

تضمّ مجموعة النقاش البؤرية المعتمدة في الدراسة تسعة أساتذة جامعيين (2 تخصص علم اجتماع، و2 تخصص فلسفة، و2 تخصص علم النفس الاجتماعي، و1 تخصص علم التاريخ، و1 تخصص الاستشراف الاستراتيجي، و1 تخصص علوم الإعلام والاتصال وهو الذي ينسّق عمل المجموعة ويدير النقاش بينها) بمشاركة وزير شؤون الشباب والرياضة باعتبار أنّ وزارته هي التي دعت لذلك اللقاء الدراسي ونظمته. وقد التأم اجتماع مجوعة النقاش البؤرية في ثلاث مناسبات متتالية في شهري أفريل وماي 2020 باعتماد تقنيات تنظيم الاجتماعات عن بعد، نظرًا لتفشّي الحالة الوبائية في موجتها الأولى. وقد وقع تسجيل حلقات النقاش الثلاث وتفريغها ليقع استثمار نتائجها في استخراج واستقراء تمثّلات التونسيين نحو وباء كوفيد_ 19.

2. نتائج الدراسة:

تتضمن النتائج قسمين، يتعلق الأول بالتمثّلات الاجتماعية، أما الثاني فيتعلّق بتحليل الخطاب الإعلامي للصحف والمواقع المتعلّق بوباء "كوفيد_19" في موجته الأولى والثانية.

2_1 نتائج مجموعة النقاش البؤرية:

منذ بدايات الموجة الأولى من "كوفيد_19" في شهر مارس 2020، وانتشار الذعر المجتمعي من تداعيات ذلك الوباء، أَذن وزير شؤون الشباب والرياضة بتشكيل فريق بحثي متكوّن من جامعيين في مجالات العلوم الاجتماعية (مبروك وآخرون، مارس_ماي 2020) من أجل رصد أهم تمثلات التونسيين نحو هذا الفيروس المستجد، وتحديد مدى وعيهم بكيفية التعاطي مع مخاطره، واستقراء ما يمكن أن ينتج عن هذا الوباء من تخبّط وقلق وتهيّج نفسي يُخشى أن يتحوّل إلى نوع من الهستيريا والفوضى التي يمكن أن تُفرز العنف بأشكاله المختلفة و مستوياته الفردية والجماعية.

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

في ذلك الصدد، اعتبر المؤرخ عبد اللطيف الحناشي أن ما يحمله التونسيون اليوم من تمثّلات حول "كوفيد-19" تكاد تكون امتدادًا لتعامل التونسيين مع الأوبئة في السابق (نفس المرجع السابق)، كما وُجد تفسير يعتبرها ابتلاءً، يقترن بمظاهر رفض الحجر الصحي لدى فئة من التونسيين الأقل حظا في التعليم، وتقلّص تلقائيا البعد الاجتماعي، بضعف التزاور والحد من الحركة فيما بين البلدات والمدن تلافيا للعدوى، مع بروز تناقض يتجلّى في أن تطفح الأنانية والنزعة الذاتية لدى البعض، مقابل روح التعاون والتآزر لدى فئات أخرى. وذكر الحناشي أن المؤرخين يجمعون على نسبة كبيرة من تلك الاستنتاجات.

من زاوية علم الاجتماع، ينبّه مهدي مبروك، إلى أن الخطاب حول الوباء لا بأس أن يركّز على جانبه الطبي والعلمي، لكن لا يجب إسقاط المنظور النفسي، والاجتماعي، والانثروبولوجي، والتاريخي، والاستئناس بالعلوم المستقبلية والاقتصادية والسياسية، كما أنّ تصنيف التمثلات من حيث درجة خطورة الوباء وما ينتج عنها من خوف مبالغ فيه يصل حد الرّهاب، تتجلّى في أشكال التحدّي التي تعكسها سلوكيات بعض الشباب من خلال طلب المبارزة، وتحدي الوباء، وإنكار مخاطره كما حدث في مسيرات ليلية ببعض الاحياء الشعبية بتونس العاصمة، وفي ذلك دلالة تحيل إلى معانى المغامرة و المقامرة (نفس المرجع السابق).

في نفس الحقل المعرفي، يعتبر منير السعيداني، أنه يمكن اختزال التمثلات الاجتماعية في "مروحة من التصورات الاجتماعية" حول الوباء، تتراوح بين:

- درجة إنكار وجود الوباء إمّا بفضل الحماية الإلهية أو صغر السن، أو باعتبار أن المرض لا يمسّ إلا الأغنياء.
- درجة الاعتراف النسبي بوجود الوباء وأنه ليس خطيرًا كما يروّج له.
- درجة الاعتراف المحايد بالوباء باعتباره موجودًا وهو خطير، لكن مقاومته تقع على الحكومة فقط.
- درجة الاعتراف الإيجابي بوجود الوباء، والإقرار بخطورته، دون الإقرار بدور محدد في مقاومته.
- درجة الاعتراف النشط بوجود الوباء، والإقرار بخطورته، والتحمّس لمواجهته مجتمعيًا عبر أشكال متنوعة من التطوع الحر والمدني المنظّم (نفس المرجع السابق).

أما من زاوية علم النفس الاجتماعي، فيرى محمد سامي بوراوي أن التمثّلات بما هي موجِّهات للإدراك والأحكام وما ينتج عنها من سلوكيّات، فيمكن تبويبها على النحو التالي:

التمثّل الأول: يعتبر "كوفيد-19" مرضا خطيرًا ويجب التوقّي منه لأنّه مُعدٍ، وهذا التمثّل نجده لدى من لديهم مستوى علميٍّ عالٍ أو ممن يعانون عادة من أمراض خطيرة أو مزمنة.

التمثل الثاني: يعتبر "كوفيد-19" مرضًا خطيرًا لكنه لا يصيب إلاّ من "كُتبت" عليهم الإصابة، وفي ذلك وعي بخطورة الوباء دون الوعي بأنه مرض معدٍ، وأصحاب هذا التمثّل يمتلكون مستوى تعليميًا وثقافيًا محدودًا، ونجدهم في جلّ الفئات، ويغلب عليهم عدم تحمّل المسؤولية.

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

التمثل الثالث: يعتبر "كوفيد19ـ" مرضًا جديدًا ولا يصيب سوى كبار السن ومن لهم أمراض مزمنة، وهذا التفكير يحمله دوغمائيون من جُلّ الفئات (نفس المرجع السابق).

يعتبر سامي بوراوي أنّ انتشار الشائعات فيها سدّ للفراغات التي لا تؤمّنها وسائل الإعلام، ولها وظيفة أولى هي تفسير الخوف الذي يشعر به بعض التونسيّين من إمكانية إصابتهم، كما أن لها وظيفة ثانية هي التخفيف من التّوتّر الذي يشعر به هؤلاء، عبر إسقاط مخاوفهم على العالم الخارجي، وجعل الآخرين يقاسمونهم نفس الخوف.

ويبدو أنّه كلّما كانت الاستراتيجية الإعلاميّة التي اعتمدتها السلطات تتميّز بدقة المعلومات المحيّنة، وبأسلوب إقناعي؛ خفّف ذلك من أثر الخوف، وقلّص من تأثير الشائعات والتضليل الإعلامي.

أمّا درّة بن عليّة، بخلفيتها النفسية الاجتماعية، فتقدّر أن ظهور هذا الوباء لن يغيّر كثيرا من تمثّلات الشباب لمستقبله، لأنّه لم تكن له رؤية واضحة عن ذلك المستقبل قبل ظهور الوباء، نتيجة إحساسه بعدم القدرة على تحمل أعباء حياته والسيطرة على هذا المستقبل. يبدو، في نظرها، أن اللغة المهيمنة لدى فئة من الشباب هي أنه سيموت سواء بوجود الوباء أو عدمه. وهي تعتبر أن "شاب الأحياء كثيفة السكان يعتقد أنه يكون محميًا عند مغادرته البيت، وهو ما يجعل فرض احترام الحجر الصحي بالقوة عنفًا إضافيًا يسلّط عليه. وبالتالي فإن الوضع الوبائي يُنتج إشكاليات جديدة؛ فهو من جهة يُنتج ما يعرف بأكباش الفداء، ومن جهة أخرى فهو يخلق أشكالا من العداوات داخل المجموعات وداخل المجتمع، تحرّكها الضبابية التي تحوم حول تطوّر الوضع الوبائي. لذا فإن التفكير في المعالجة لا يمكن أن يكون على مستويات محلية فحسب، بل في إطار شامل يحكمه على مستوى تغيّر النماذج والمفاهيم المرجعية" (نفس المرجع السابق).

يتفق منير الكشو، بخلفيته الفلسفية، مع نظرائه الجامعيين السابقين على أن تمثلات التونسيين لـ"كوفيد19ـ" لم تكن متجانسة فهي تتباين باختلاف الفئات والانتماءات الاجتماعية ومستويات الثقافة والتعامل مع الثقافة العلمية. وهو يعتبر أن هناك من يعتمد النظرية الداروينية التي تعتبر أن الطبيعة البشرية تحدّدها التركيبة البيولوجية أساسًا، وهي قائمة على منطق البقاء للأقوى، في حين أن اتجاها آخر أكثر حكمة يطرحه الفيلسوف الفرنسي Michel SERRE في كتابه "بونابرت والسامري: فلسفة التاريخ داروين" (Bonaparte et le Samaritain : Une philosophie de l'histoire Darwin) يَعتبر فيه أن الإنسانية استطاعت أن تتطوّر وتبتكر وسائل لحماية نفسها وللتصدي للانتقاء الطبيعي بفعل إصرارها على أن توفّر الإمكانيات لتحمي كلّ من هم ضعفاء في الانتقاء الطبيعي عبر المضادات الحيويّة والعلاجات الأخرى (نفس المرجع السابق).

ويعتبر الكشو أن التعاطي الرسمي في تونس مع أزمة "كوفيد19ـ" ليس منفصلًا عن دور وسائل الإعلام في هذا المجال، خاصة أن فئة الشباب لا يتابع أغلبهم الوسائل القديمة منها، بل يتّجه نحو الانترنت ولوسائط التواصل الاجتماعي. وهو ما يخلق فجوة بينه وبين الإعلام القديم الذي مُرِّرت عبره جلّ

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

الحملات التحسيسيّة والتوعويّة بـ"كوفيد- 19". وبالرغم من أنّ الأزمة الصحية وما رافقها من غلق للحدود ومنع للجولان وحجر صحي شامل، تضافرت كلها فشَلّت قسمًا كبيرًا من الحركة الاقتصادية داخليا وخارجيا، إلا أنها قدّمت دليلا على إمكانية المقاومة والصمود عند التونسيين. لقد تبين أن طاقة التحمّل عندهم تزداد حين يرون بصيص الأمل، وحين يكون دور الإعلام في تلك المعركة فيه حشد لطاقات التونسيين ولِهِمَمِهِم، خاصة أن تهديد الوباء واضح وبيّنٌ، وتزداد خطورته حين ينضاف لما يعانيه المجتمع من مصاعب أخرى. ولقد تبيّن أن الأزمات عبر التاريخ أمكن لها توحيد المجتمعات، وكبح دوافع التنافر بينهم، حين ينأى الخطاب عن عوامل التناقض، ويعطي الأولوية لعوامل الوحدة، وذلك هو الدور الموكول لوسائل الإعلام في أوقات الأزمات، فهل كان ذلك شأنه في الحالة التونسية خلال فترة امتحان "كوفيد- 19"؟

2,2 نتائج تحليل الخطاب الإعلامي:

أظهرت نتائج الدراسة فيما يتّصل بتحليل خطاب الصحافة المكتوبة أنّه بالرغم من أنّ تاريخ التونسيين موسوم بتعاملهم مع الأزمات الوبائية والاجتماعية والحروب والمجاعات، إلا أنّ ذاكرة الأجيال الجديدة لا عهد لها بالأوبئة، ولا تحمل ثقافة متشبِّعة بخصائص تلك الأزمات، حتى تنير لهم سبل التعامل معها. لذلك فإن اجتياح وباء "كوفيد19-" العالم بقاراته المختلفة، وانتشاره في كل البلدان دون أن يستثني منها تلك الأكثر تقدُّما ولا الأوفر موارد وخبرات في مواجهة الأزمات والجوائح، مَثّل صدمة هزّت العالم، وامتدّت تداعياته بسرعة لتشمل كل الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، إذ يصعب خلال الأسابيع القليلة الأولى من مطلع سنة 2020 أن نتحدّث عن قطاع أو مجال من مجالات الحياة في منأى عن تداعيات هذا الوباء.

لقد برزت عوامل الارتباك في تغطية الأزمة الوبائية وما اكتنفها من اضطراب في مسالك نشر المعلومات بين إعلام قديم وإعلام جديد، ولا يُعدّ الإرباك شأنا تونسيا، بل هو حالة مخاض يعيشها العالم الحديث؛ فالرئيس الأميركي دونالد ترامب أحدث تجاذبا كبيرا بين منظومتَي الإعلام حين أبدى تحفّظه عن الصحف والقنوات التلفزيونية والإذاعات والوكالات الرسمية، وهي تمثّل الإعلام القديم، مقابل تفضيله لمنصّات ومواقع التواصل الاجتماعي وهي وسائل الإعلام الجديد (يوتيوب، وفيسبوك، وتويتر، وإنستغرام، وواتساب، وتلغرام، وغوغل، وغيرها) وقد أخذ ذلك الاختلاف طابع النزاع والانقسام بين الفاعلين السياسيين والإعلاميين (جريدة العرب، 2018).

لقد درج بعض السياسيين، وبعض الحكومات أحيانا، على صياغة أخبار مضلّلة من أجل تمرير أجندات محدّدة، مثل الضغط الإعلامي الذي مارسته الولايات المتحدة وبريطانيا عشيّة غزو العراق سنة 2003

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

عبر وسائل الإعلام التقليدية، مدّعية أن العراق يملك أسلحة دمار شامل، وهي عمليات للضغط والإرباك بدليل أنه لم يقع إثبات صحة تلك المعلومات لاحقا. كما لم تخلو وسائل الاتصال الاجتماعي من استعمال المبالغة في أرقام الجرحى والشهداء وحتى تسريب الإشاعات في نقل فعاليات موجة الثورات والانتفاضات التي هزت المنطقة العربية بدءًا من سنة 2011. أما خلال جائحة "كوفيد19ـ" التي ظهرت أواخر سنة 2019 في الصين، ثم انتشرت في كل أصقاع العالم، فقد لُوحظ استخدام التضليل والتلاعب بالمعلومات عبر الإعلام الجديد والقديم مع كثافة أكثر في استخدام الأول لها، وهي ممارسات ليست منفصلة عن تداعيات الوباء على مجالات الحياة المختلفة.

لقد حلّت الجائحة الوبائية في تونس، كما في العالم، دون سابق استعداد معرفي وتنظيمي ولوجستي، لذلك عاشت تونس طيلة الموجة الأولى للوباء (مارس - جوان 2020) حالة إرباك وتخبّط في ترتيب الأولويات بين المعطى الصحي والمعطى الاقتصادي وما يتقاطع معهما من أبعاد أخرى. وبالرغم من التركيز على الجانب الصحي كخيار مطلق في البداية، إلا أنه سريعا ما وقع الانتباه إلى خطورة الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية للأزمة، واللذان مثّلا مدخلا ومبررا لتسريب الأخبار المضلِّلة حول توزيع الأدوية والمواد الغذائية والإعانات الموجهة للفئات الاجتماعية الهشة، وغيرها من مواضيع إشاعة الأخبار المضللة.

إنّ هذا الوباء شدّ انتباه كل الفاعلين، واستحوذ على مركز اهتمام الرأي العام الوطني والإقليمي والعالمي، بما ترتّب عليه من أزمة شملت كل مرافق الحياة العمومية والخاصة، ولفتت نظر كل السلطات وفرضت انشغالهم ومتابعتهم (خليفة، جريدة الرأي العام، 24 مارس 2020). لذلك فإن المواكبة الإعلامية كانت لصيقة وشاملة، حتى أن العالم تخلّى طيلة أشهر متعدّدة عن جلّ مشاغله الأخرى، وأصبحت الأزمة الوبائية تستغرق أنظار الجميع واهتماماتهم. حينها عاش أغلب التونسيين ظروفا صعبة طويلة، وكان الارتباك واضحًا على الإعلاميين التونسيين في طريقة تغطيتهم لوباء لم تتحدّد ملامحه بشكل كامل، وليس لديهم منوال على التعامل مع أحداث جنيسة له. لذلك كان السبق في البداية لوسائل التواصل الاجتماعي في تلقّس سبل التعاطي الإعلامي؛ ولم يخلُ ذلك السبق من إخلالات نتج عنها ـ أحيانا ـ التلاعب بالمعطيات الشخصية، عبر نشر فيديوهات ومقاطع صوتية مضلّلة ومفبركة؛ حتى أن 65 ٪ من الصحفيين عبّروا عن تعرّضهم للتّضليل الإعلامي عند تغطيتهم لتطوّرات الوضع الوبائي في تونس (مركز تونس لحرية الصحافة، 2020).

كما شهدت منظومة الإعلام القديم بعض الفوضى في أدائها، لا في تغطية الجانب الطبي من الأزمة الذي تولّت القيادة الطبية متابعته بإحكام (عربي Businessnews، 2020)، ولكن ظهر ذلك، بصورة جلية، في متابعة أثار الحجر الشامل وما نتج عنها من إرباك في توزيع المواد الغذائية والطبية، وفي إيصال المساعدات الموجهة للفئات الأكثر تضرُّرًا من ركود النشاط الاقتصادي، وفي وصف ما ظهر

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

من اضطراب لدى المواطنين، وليس في إدراكهم لحقيقة الوباء(كريشان، جريدة المغرب، 31 مارس 2020)، وصعوبة في لجم بعض التمثّلات والتصورات عن الوباء وتداعياتها التي لم تخلو من ضروب التهويل أو التهوين، حسب وعي المواطنين وقدرتهم على الفرز، وعلى تشكيل وعي أقرب للحقيقة وللمعطيات العلمية.

وقد تأكّد أن لوسائل الإعلام، بمختلف أشكالها، دورًا فعّالا في توعية الجماهير وتثقيفهم في وقت الأزمات (معروف، 2020)، خاصة أن هذا الفيروس يسبّب ذعرا وهلعا كبيرين للبشر، ويفرض حالة من الترقّب والخوف والقلق والتوتّر، تزداد معها نسب الإقبال على وسائل الإعلام. وهو ما جعل الإعلام التونسي تحت اختبار مدى قدرته على إشباع تلك الحاجات الملحّة، والإقبال المكثّف من المواطنين على الإعلام قديمه وجديده، من أجل الاطلاع على تطورات الوباء، والتأكد من أن الجهد الوطني المبذول لحمايتهم قادر على الحد من قلقهم واضطرابهم.

مثّل هذا الوباء ـ على خطورته ـ فرصة لوسائل الإعلام التونسية كي تقوم بدورها في النشر المحيّن للمعطيات، والتثقيف والتوعية، وتصحيح الأخطاء، وتنوير الرأي العام. في ذلك السياق أُتيحت لحكومة إلياس الفخفاخ شروط انطلاقة جيدة حين تقدمت بمشروع قانون للتفويض لرئيسها بإصدار مراسيم طبق الفقرة الثانية من الفصل 70 من الدستور، لغرض "مجابهة تداعيات انتشار فيروس كورونا وتأمين السير العادي للمرافق الحيوية" (العبشي، 2020). وقد وافق المشرِّع التونسي على ذلك التفويض، من أجل توفير تسهيلات للحكومة تمكّنها من مواجهة وضع وبائي طارئ وخطير.

وحين باشر رئيس الحكومة السابق إلياس الفخفاخ تكليفه على رأس الحكومة، أولى إدارة أزمة "كوفيد19ـ" وتداعياتها اهتمامًا مركزيًا، لكن سرعان ما تغيّرت المعطيات بعد توجيه انتقادات له ولمقرّبين منه حول وجود شبهات فساد وتضارب مصالح، وأفضى ذلك إلى استقالة حكومته. وبذلك وقع هدر ظرفيّة استثنائية لفتح قنوات التواصل والتكامل بين وسائل الإعلام وكل القطاعات الحيوية في البلاد، خاصّة بعد المساعدات السخيّة التي قدّمها الفخفاخ للمؤسسات الإعلامية الخاصة، في إطار مجابهة تداعيات الأزمة الوبائية (جريدة الشروق،2020)، والتي لم تخلُ من نقد حاد على اعتبارها ـ في نظر الناقدين ـ عملية مقنّعة لشراء ذمم الإعلاميين، وجعلهم في خدمة الأجندة السياسية لرئيس الحكومة السابق إلياس الفخفاخ (البغوري، موقع نواة، 27 أفريل 2020).

إن تغطية وسائل الإعلام التونسية للجائحة لم تكن متجانسة لاعتبار تنوع وسائل الإعلام وتباين خطوطها التحريرية، ولاختلاف السياق الزمني للأزمة فيما بين الموجة الأولى والثانية للوباء حيث كانت مقاربة الأزمة والتعامل معها متباينة؛ كما أنّ السياق السياسي تغيّر. ففي الموجة الأولى كانت حكومة سياسية تحت قيادة إلياس الفخفاخ، أما في ظل الموجة الثانية لـ"الكوفيد19ـ" فصُنِّفت حكومة هشام المشيشي على أنها حكومة "كفاءات مستقلة". وتلك التباينات يمكن أن نستشفّها من خلال تغيّر الخطاب الإعلامي نفسه بين موجة وأخرى، وبين النظرة للتعامل مع الوباء باعتباره طارئًا أو

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

باعتباره يستمرّ لفترات أطول تفترض التعايش معه. وجانب من التغير في التعامل مع الظرفية الوبائية، لم يكن خيارا تونسيا محضا، بل كان أمرا واقعا أُكرهت جلّ حكومات العالم على التعامل معه، مع اختلاف مقدرات كلّ منها، ومقوّمات القوة المتاحة لها، وتوجه المنظمات الدولية ذات العلاقة، مثل منظمة الصحة العالمية، في التعامل مع مقتضيات الأزمة الوبائية.

من خصائص التغطيات الإعلامية لـ"كوفيد19ـ" أنها في طورها الأول، كانت متمركزة حول الوباء، لذا كان الخطاب الطبي يأخذ الأولوية ضمن الأجندة الإعلامية؛ فيتصدّر النشرات الاخبارية، وتعقد حوله البرامج الحوارية التحليلية، ويُعدّ له جرد إحصائي يوميّ تتخلّله الرسوم البيانية. بل سعت حتى المنوعات والبرامج الثقافية والرياضية نحو تطويع مضامينها لتتقاطع مع متطلّبات التربية الصحية والوقائية. وقد استخدمت لذلك الغرض لغة مبسطة في حدود ما تتيحه قدرات الأطباء ومتخصّصي المجال الصحي. وقدّم وزير الصحة آنذاك عبد اللطيف المكي وفريق القيادة الصحية المرافق له، مثالا نموذجيا لحملات التوعية والتحسيس، وإقناع الرأي العام الوطني بأهمية الجهد المبذول، فكان انعكاسه إيجابيّا بتراجع الوضع الوبائي في البلاد.

لقد تميزت تلك الفترة الوبائية الأولى بإسناد القيادة والمبادرة إجمالا للمختصّين، ووقع التخلّي ظرفيا عن جلّ المحلّلين وما يُعرف بـ"الكرونيكور"، فخفتت عمليات التعبئة وتأجيج الاختلافات بين التونسيين. كما فُسِح مجال التفاعل عبر مختلف وسائط التواصل الاجتماعي بين الإعلاميين والمواطنين والمختصين من "أصحاب الميدعات البيضاء"، وتمّت استضافة شخصيات عامّة لتعزيز حملات التحسيس، عبر تغطيّات ميدانية من الشوارع والفضاءات العامة. وقد وُظّفت فرص اللقاء مع الناس، وفُسِح المجال لاستفساراتهم من أجل تعبئة وطنية لمقاومة الوباء.

إن التذرّع بظروف عمل الصحفيين أو حتى تدهورها، لا تبرّر تخلّيهم عن القواعد المهنية والمواثيق الأخلاقية المنظمة لعملهم، لكنها تسمح لنا فهمَ السّياقات التي تحدث فيها الإخلالات. لقد جاء في التقرير السنوي الذي أصدره "مركز حرية الصحافة" في تونس، بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي لحرية الصحافة في 3 مايو/أيار من كلّ سنة، وخصّص حيّزا منه للأخبار الكاذبة والمضلّلة، خاصة المتعلقة منها بتفشي وباء "كوفيد19ـ" في تونس وفي العالم؛ أنه في دراسة أُجريت للغرض، أظهرت نتائجها أن 64.5٪ من الصحافيين المشاركين في الاستبيان أقرّوا بأنهم تعرّضوا إلى التّضليل، ويحمّلون وسائل التواصل الاجتماعي مسؤولية القدر الأكبر من عمليات التضليل ونشر الأخبار الكاذبة (مركز تونس لحرية الصحافة، 2020).

إن مسؤولية مقاومة التلاعب بالمعلومات وتزييفها بما ينجرّ عنها من تضليل، ليست مسؤولية المؤسسات الإعلامية في كليّتها فحسب، بل هي في جانب منها تقع على عاتق الصحفي، إذ تَعتبر الكاتبة "كلير واردل" (Claire Wardle) أنه عليه أن يكون واعيا بتلوّث البيئات الإعلامية التي يتعامل معها، وعلى حذر من السقوط في مضاعفة ترويج الأخبار الكاذبة (سليني، 2020). بقي التأكيد على أن مسؤولية

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

الصحفي في احترام أخلاقيات مهنته، وعدم السقوط في تجاوزات التزييف والتلاعب بالمعلومات، لا تنفصل على ضمان حدّ أدنى من حقوقه فلا يتعرّض للطرد التعسفي من العمل، وحرمانه من حظوظ حياة كريمة. وتشير التقديرات إلى تسريح 190 صحفيًا أثناء هذه الأزمة، في حين توقّفت أهم مؤسسة صحفية خاصة في تونس عن دفع رواتب الصحفيين في شهر مايو/أيار 2020 (النقابة الوطنية للصحفيين، 2020).

يشير بحث "لكارين والجورجينسين"، وهي مديرة تطوير البحوث والبيئة في كلية الصحافة بجامعة كارديف البريطانية، أن الخوف كان السمة الأبرز في خطاب وسائل الإعلام عن جائحة "كوفيد19ـ"، في الفترة الممتدة ما بين 12 يناير13ـ فبراير 2020 حيث تمّ نشر 9387 مقالًا عن تفشي الفيروس، من بينها 1066 مقالًا تَطغى عليها سمة "الخوف" أو كلمات ذات صلة بالهلع والتهويل. كما استخدم 50 مقالا عبارة "فيروس قاتل" مرفقة بصور من مدينة "ووهان" الصينية. وكانت تعليقات الناس عنها، على مواقع التواصل الاجتماعي، أغلبها تعليقات عنصرية عن الأطعمة الآسيوية. وتلك الصور تثبت سقوط الإعلام الغربي، مثله مثل الإعلام العربي، في عدة اختبارات مهنية وإنسانية جَسّدتها جائحة "كوفيد19ـ"، وتسبّبت في أضرار مباشرة وغير مباشرة لأشخاص حول العالم (الدالاتي،2020).

في ذات السياق، أشار عالم الاجتماع الإيطالي "إدواردو نوفيلي" من جامعة روما 3 إلى تباطؤ عمل عدد من وسائل الإعلام في بداية "كوفيد19ـ"، وذكر في دراسة بعنوان "إنفو مود" تتعلق بما نشرته 257 وسيلة إعلام أوروبية على موقع "فيسبوك"، جرت بين الأول من كانون الثاني/ يناير و14 آذار/ مارس 2020، وجاء فيها أن الصحف تأثّرت إلى حد كبير بحكوماتها الوطنية التي قلّلت مثلا في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا من خطورة الأزمة، واعتبر أن وسائل الإعلام لم تقم بدورها الكافي، بل إن بعضها وقع في محظور نقل أخبار مضلّلة (DW، 2020).

أمّا في تونس، فأشار تقرير حرّية الصحافة إلى أنّ عدة وسائل إعلام لم تحترم المعطيات الشخصية لضحايا "كوفيد19ـ"، إذ تسابق صحافيون إلى زيارة مقرّات الحجر الصحي الإلزامي والتصوير فيها، وإبراز الضحايا واجراء مقابلات معهم من دون التحفظ على هويّاتهم، ودون مراعاة وضعهم النفسي، وهو أمر مناف لقواعد المهنة وأخلاقياتها (مركز تونس لحرية الصحافة، 2020).

بعد تقديم أهم تمثّلات التونسيين نحو وباء "كوفيد19ـ"، واستعراض أهم نتائج تحليل خطاب عيّنة من المقالات الواردة في الصحافة المكتوبة والتي نستشف منها السّمات العامة للتّعاطي مع هذا الوباء المستجدّ، نصل إلى تحليل تلك النتائج في مستويَيها الأوّل والثاني، ليتسنّى لنا الإجابة على إشكالية البحث والتوصّل إلى استنتاجات تقويمية لأداء الإعلام التونسي في فترة الأزمة الوبائية الراهنة.

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

3.تحليل ومناقشة نتائج الدراسة المتّصلبالتمثّلات الاجتماعية وبتحليل الخطاب الإعلامي

3_1 تحليل إجابات مجموعة النقاش:

نعتمد في تحليل نتائج مجموعة النّقاش (Focus Group) الإجابات والاتجاهات الدّالة ولو كانت متباينة بين المشاركين، باعتبار اختلاف خلفيّاتهم المعرفيّة من ناحية، واستنادا إلى دليل إدارة الحوار ووفق سياق الحوار الذي سمح باحتكاك بين تلك الخلفيات في تباينها، ومع مراعاة الاتساق الداخلي للجمل ما أمكن ذلك. لقد بدا أن تأثير تصورات التونسيين وتمثّلاتهم حول "كوفيد19_" في سلوكهم ليست عملية آلية مباشرة محكومة بثنائية إثارة/استجابة، بل إنّها أكثر تعقيدا من ذلك ويمكن استنتاجها من خلال مواقف مُعبّرة ومشحونة بالدّلالات، من ذلك موقف بعض التونسيين من دفن موتى هذا الوباء في بداية موجته الأولى. حتى أن ردود أفعالهم المعارضة أخذت طابعا عنيفا، لا ينسجم مع ما يُبديه التونسيون في الغالب من تقدير صارم لمراسم الدفن، تصل حدود القداسة أحيانا. ولم تتمّ عملية الدفن إلا بتدخّل السلط العمومية واستعمالها القوة لإتمام الإجراءات(عربي 2020 ،Sputniknews).

صرح المشاركون في جلسات النقاش المركّزة (Focus Group) في الإجابة عن تمثّل التونسيين للوباء أن منهم من يعتبره ابتلاء (مبروك وآخرون، مارس_ماي 2020)، دون الخوض في فهم عقلاني ولا واقعي. وقد اقترن ذلك بمظاهر رفض الحجر الصحي لدى فئة من التونسيين، وهي الأقلّ حظا في التعليم. وبالرغم من التقلّص التلقائي للبعد الاجتماعي (نفس المرجع السابق)، بضعف التزاور والحدّ من الحركة فيما بين البلدات والمدن تلافيا للعدوى، إلاّ أنّ ذلك لا يحجب عدم امتثال نسب هامة خاصة من شباب الأحياء كثيفة السكان، باعتبارها ترى في عملية الحجر وإلزامها بالمكوث في البيوت، عملية عقابية لضيق السكنى، وعجزهم عن تدبّر موارد أرزاقهم دون السعي لذلك في الأسواق وداخل الأحياء.

كما صرح المشاركون ببروز تناقض يتجلّى في أن تطفح الأنانية والنزعة الذاتية لدى البعض بسلوكيّات عنيفة فيها تهديد للآخرين وللسلم الاجتماعي، مقابل روح التعاون والتآزر لدى فئات أخرى (نفس المرجع السابق) من شباب الجامعات والمنظمات، بادروا بتلقائيّة في تقديم الحلول عبر تنظيم الصفوف في المؤسسات والفضاءات التجارية، وتقديم ابتكارات في صناعة أجهزة للتنفس، أو للعزل الصحي، أو صناعة الواقيات الصحية، والمئات من المبادرات المواطنية الأخرى.

ومن المشاركين من صرّح في جلسات النقاش المركزة بوجود نقص في المعرفة العلمية، والاعتقاد بأن فيروس كورونا سينتشر في الأرض المحيطة بالمقبرة ويغزو المنازل. كما أن رفض بعض البلديات تخصيص مراكز لإيواء المصابين بالـ"كوفيد19_" من خارج دائرتها (نفس المرجع السابق)، يتنزّل ضمن الهستيريا الجماعية، التي لم تُجَابه بتنديد إعلامي واسع في ظل التهيّج الانفعالي الذي تُغذّيه تصوّرات خاطئة. بل ما يُعاب في هذه المرحلة غياب المبادرة النوعية للإعلاميين في تذليل الصعوبات الناتجة عن

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

تصورات خاطئة كان يمكن للإعلام أن يَسهم في الحدّ منها، وكانت طاقات شبابية تبحث عن فرص إسداء الخدمة للمجتمع، وهل هنالك ما هو أهمّ من مفعول تمثلات خاطئة على مجتمع يعجّ بمن يستثمر في مناخات الشك للتأليب والخطف وممارسة أشكال شتّى من العنف؟

في نفس ذلك السياق بدا أن "البحث عن كبش فداء" بادّعاء أنّ كائنا ما أو صنف من البشر أو حيوان ما هو أصل الفيروس (نفس المرجع السابق)، والتصرّف بناء على ذلك بردود فعل قوية. وهو ما تجلّى لدينا في سلوكيات عنيفة وعنصرية تجاه بعض الأجانب على غرار الصينيين أو الأفارقة. وتزداد خطورة سريان تلك التصورات حين تقترن بآليات التلاعب بالعقول وبثّ الأخبار الزائفة ولا تكون تلك الممارسات فردية ولا عفوية، بل تقف وراءها منظومات تعطي لنفسها صفة المؤسسة الإعلامية، وهو ما نهتم بتناوله في المبحث الموالي.

من المشاركين من أكّد في جلسات النقاش المركزة بأنه تَبيّن أن طاقة التحمّل عند الشباب خاصة وعند التونسيين عموما تزداد حين يرون بصيص الأمل، وحين يكون دور الإعلام في تلك المعركة فيه حشد لطاقات التونسيين ولهممهم، خاصة أن تهديد الوباء واضح وبيّن، وتزداد خطورته حين ينضاف لما يعانيه المجتمع من مصاعب أخرى. ولقد تَبيّن أن الأزمات عبر التاريخ أَمكن لها توحيد المجتمعات، وكبح دوافع التنافر بينهم، حين ينأ الخطاب عن عوامل التناقض، ويعطي الأولوية لعوامل الوحدة.

إن تأكيد الجامعيين المشاركين في حلقة النقاش البؤرية على أهمية دور الإعلاميين في الحفاظ على روح معنوية مرتفعة لدى نسبة هامة من التونسيين، حين يرتكز الخطاب الإعلامي، خاصة في فترات الأزمات، توحيد التونسيين وتشجيع القواسم المشتركة بينهم، والتآزر بين فئاتهم وجهاتهم، وبين صغارهم وكبارهم، وبين نخبهم والعامة منهم.

3_2 مناقشة نتائج تحليل الخطاب الإعلامي

يُنظر إلى عمليّات التضليل عبر وسائل الإعلام التقليدية نظرة فيها إدانة أشدّ من تلك الموجّهة إلى شبكات التواصل الاجتماعي، لأن الأولى تكون فيها إرادة التضليل مؤسسة، وهي بالتالي تخرق القوانين وأخلاقيات المهنة بطريقة قصديّة؛ في حين أن ما يَرِد في وسائل التواصل الاجتماعي تقع مسؤوليته على أفراد يندرج نشاطهم في الأصل ضمن خانة الممارسات الهاوية؛ وإن كان التداخل بين المنظومتين والتواطؤ أحيانًا غير منعدمين، بل يمكن الاستدلال عليه بأكثر من قرينة في الواقع، وهو ما سنقوم باستعراضه في متن المقال.

وبالرغم من أن مؤسسات الدولة سعت إلى تنظيم حملات تحسيسية حول الصحة العامة للمواطنين التونسيين، وهو ما قلّص من مفعول التضليل، خاصة حين تصدّرت الفرق الطبية المنابر الإعلامية لتقديم إحصاءات دقيقة حول عدد المصابين، وعدد الموتى، والبروتوكولات الصحية الواجب اتباعها.

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

لكـن كلّ ذلـك علـى أهميتـه، لـم يكبـح تسـرّب بعـض الأخبـار الزائفـة التـي يغذّيهـا الخـوف ونقـص نشـر المعلومات الصحيحة في إبّانها؛ من ذلك ماراج حول إجراءات دفن موتى وباء "كوفيد19ـ"، وحول التخوفات المبالغ فيهـا لحصـول العـدوى، ومـا اسـتتبعها مـن تصـدّي بعـض المواطنيـن، فـي أكثـر مـن منطقـة، لإجـراءات دفن موتى حاملي الفيروس، أو منع تخصيص فضاءات لاستقبال المصابين بهذا الوباء (معروف، 2020).

مـن الفضائـل القليلـة للجائحـة أنهـا عطّلـت نسـبيًا موجـات قصـف العقـول عبـر صناعـة الأخبـار السياسـية، وخاصـة المزيّفـة منهـا. فقـد اضطـرت ـظرفيًـا ـ لإعطـاء الأولويـة لإعـلام الأزمـة المخصـص للوبـاء؛ ومَثّـل ذلك خيار جلّ المؤسسات الإعلامية طيلة الموجة الوبائية الأولى (مارس-جوان2020). إلاّ أنه بقدر ما تقوم جلّ وسـائل الإعـلام فـي تونـس وفـي العديـد مـن الـدول الأخـرى بـدور مسـؤول فـي التوعيـة والوقايـة مـن فيروس "كوفيد19ـ"، فإنّ البعض منها عَمد إلى التهويل والتضخيم إمّا بحجّة تحقيق سبق إعلامي يترتّب عنه تسـرّب الأخطـاء، أو لغيـاب مصـادر دقيقـة للمعلومـات، فيقـع ترويـج تقاريـر وبيانـات مغلوطـة. وغالبـا مـا تكـون دوافـع التلاعـب بالمعلومـات تسـييس الأزمـات وتوظيفهـا بشـكل سـلبي يظهـر فشـل هـذه الحكومـة أو تلـك (فـي النزاعـات الداخليـة)، أو هـذا البلـد أو ذاك (فـي النزاعـات الخارجيـة) مـن أجـل الوصـم بالفشل أو العجز في مواجهة الوباء.

كمـا أنّ التوظيـف السـلبي للإعـلام الجديـد ولوسـائل التواصـل الاجتماعـي فـي ترويـج الشـائعات والتزييـف والتضليـل الإعلامـي، يعـود فـي المقـام الأوّل إلـى غيـاب قواعـد وقوانيـن تنظّـم عملـه، مثـل تلـك التـي تُعتمـد فـي تنظيـم الإعـلام القديـم، لذلـك ففـي غضـون السـنوات القليلـة القادمـة تُدعـى مجتمعاتنـا إلـى صياغـة تشـريعات وقواعـد تُنظّـم الإعـلام الجديـد مثلمـا بـادرت إلـى ذلـك العديـد مـن الـدول ذات السـبق فـي هـذا المضمـار؛ دون أن تكـون عمليّـة التنظيـم محكومـة بهواجـس الضبـط وتضييـق حريـة التعبيـر، كمـا تعمـد إليـه الأنظمـة الكِليانيـة والتسـلّطية. وفـي كلّ الحـالات فمـن الأنسـب أن تكـون عمليّـة تصـوّر التشـريعات المطلوبـة لتنظيـم الإعـلام الجديـد، عمليّـة تشـاركية يُفسـح فيهـا المجـال لممثّلين عـن الشـباب المبـدع والمدوّنيـن والإعلامييـن وغيرهـم مـن الفاعليـن ومـن ممثّلـي هياكـل المجتمـع المدنـي ذي الصّلـة بهذا المجال المستحدث.

كمـا يجـب التنويـه أن معالجـة الخروقـات التـي ترتّبـت عـن توظيـف غيـر موفـق لوسـائل التواصـل الاجتمـاعي زمـن الأزمـة الوبائيـة، لا يجـب أن يحجـب فـرص الاسـتفادة مـن تجـارب الـدول الناجحـة فـي هـذا الشـأن. فعلـى سـبيل المثـال، لجـأت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة إلـى الإعـلام مـن أجـل إيجـاد سـبل مقاومـة تفشّـي فيـروس "كورونـا" والوقايـة مـن مضاعفاتـه (الحـداد، 2020). كمـا ظهـر جانـب مهـمّ للشـباب التونسـي بابتكاراتـه وانخراطـه فـي أعمـال تطوّعيـة، باعتمـاد القيمـة المضافـة لتكنولوجيـات الاتصـال والمعلومـات. وتَجلّـى ذلـك خاصّـة فـي مبـادرات الجامعـات العلميـة، والمنظمـات والمؤسسـات الشـبابية، بسـعي مـن الطلبـة والأسـاتذة الجامعييـن للقيـام بأبحـاث وابتـكارات تدعّـم أجهـزة الصّحـة العامـة ذات الإمكانيات المحدودة. وقد شجّعت الحكومة التونسية تلك المبادرات حتى أنه انطبق على بعض من

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

مبادراتها مقولة اقتناص الأزمات لتكون فرصة للتطوير وتوليد الحلول المبتكرة.

إنه من المبكّر جرد حصيلة نقدية للمعالجة الإعلامية لهذه الأزمة، إذ يرمي هذا المقال إلى تقديم استقراء عام للأداء واستخلاص أهمّ العبر عن كيفية تعاطي الإعلام التونسي مع ما خلقه ذلك الوباء من وقائع وتداعيات، يستظل في تقديرنا مضرب الذكر والاستدلال طيلة العقود القادمة. علاوة على أن طريقة تعاطي عدد من وسائل الإعلام لم تكن بالنجاعة المطلوبة في تناول الأزمة، بل إن بعضها ساهم في إذكاء الشائعات حولها. وهذا يرجع ـ في جانب منه ـ إلى نقص المعلومات والبيانات التي تتيحها الجهات الرسمية حول الفيروس، أو لنقص التأهيل والمعرفة الملائمة لتهدئة حيرة الناس وخوفهم؛ الأمر الذي جعل العديد من وسائل الإعلام تسقط في أساليب الإثارة والتهويل. وإنه بقدر ما كان الاختبار القوي لوسائل التواصل الاجتماعي، التي باتت سمة واضحة لا ينكرها أحد في العالم المعاصر نتيجته إسهامها في تخفيف وطأة أزمة التواصل المباشر بين البشر، بفعل المخاوف من تفشي الفيروس، بقدر ما بدا من وجهة نظر كثيرين أنها فشلت في اختبار المصداقية ووقع التلاعب أحيانا بدقّة المعلومات الصادرة عنها ومصداقيتها (BBC عربي، 2020).

إن جمهور وسائل التواصل الاجتماعي، وخاصة من الفئات الشابة، يتحمّل قسطا من مسؤولية الاستخدام غير الموفّق لتلك الوسائل خلال الجائحة، ما يترتّب عنه نشر أخبار مفبركة أو شائعات، تبثّ الخوف والذعر في نفوس ناس وضعتهم الأزمة في حالة من القلق، تجعلهم يهرعون لأي وسيلة يخيّل لهم أنها نافذة نجاة. في حين أن تغطية الجوائح هو نوع من إعلام الأزمات التي تقتضي الاعتماد على جهات رسمية كمصدر للبيانات والمعلومات الخاصة بالوباء. ومن أدوار الإعلام الغوص ومزيد التعمُّق في تلك البيانات وتحليلها أو مساءلتها وعرضها كمادة للتثقيف العام الذي من حق المواطنين الحصول عليه، ومن واجب الفاعلين المؤهلين الإسهام في تعميمه في أجال مناسبة ومعقولة.

إن الإعلام يمثّل أهم أدوات إدارة أزمة "كوفيد ـ 19"، إذ ينشر المعلومات بكل شفافية ودقة؛ لتكون متاحة لكل أفراد المجتمع، عبر تدفّق المعلومات بكل شفافية، وهي الشروط التي في غيابها، يُترك المجال فسيحا لسريان الشائعات، وما يمكن أن يستتبعها من لبس واضطراب وفوضى، وبالتالي فإن للإعلام دور محوري في التصدي للشائعات والمعلومات المضلّلة حول فيروس "كوفيد19 ـ" (الحداد، 2020).

إن أزمة "كوفيد19 ـ" كانت أزمة وبائيّة أرهقت الضمير العالمي، وهدّدت حياة فئات واسعة من المجتمعات، كما أحدث تحولات جذرية في مجالات نشاط المجتمع، بما في ذلك الإعلام حيث فُرِض على المؤسسات الإعلامية والعاملين فيها قواعد جديدة للعمل، من أهمها نظام العمل عن بُعد، والاضطرار لوقف الإصدارات الورقية مؤقّتًا واستبدالها في الغالب بإصدارات الكترونية، وإدارة جلّ المقابلات الإعلامية المختلفة باستخدام تقنيات الاتصال عن بعد.

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

إن الإعلام التونسي بما راكمه من صعوبات ومخاض ورهانات، وضعته الأزمة الوبائية أمام حتميّة الإصلاح وإعادة الهيكلة والتأهيل، ومراجعة نُظُم وقواعد العمل الصحفي وأخلاقياته، وإعادة تصنيف الأجناس الصحفية، ومراجعة أساليب الكتابة الصحفية في سياق عالم الكتروني تتجدّد أجياله بتعداد الأشهر والسنوات لا بتعداد العقود والقرون كما كان في الماضي؛ وفي مناخ حرية بلا سقف محدود، وانسياب معلوماتي غير مسبوق.

والإعلام البديل الذي أفرزته التكنولوجيا الجديدة للاتصال والمعلومات، هو تعبير عن الإعلام المجتمعي. فليس من الصدفة أن تعبّر شبكات التواصل الاجتماعي عن اهتمامات المتواصلين من حيث النشر والتلقي والتفاعل، وهي تسعى نحو نوع من الهيمنة وتمثيل إرادة الرأي العام، وتعمل على سحب البساط تدريجيا من وسائل الإعلام التقليدية، التي ظلّت لعقود تدّعي تمثيل اتجاهات الرأي العام، بنوع من التلاعب والتلبيس على الاتجاهات الحقيقية، خدمة لأنظمة تسلّطيّة كانت دومًا تدّعي تمثيل الشعب ونيابته، ولو أنها كانت في الواقع تختطف إرادته ولا تمثل ميولاته وتوجهاته الحقيقية.

لقد أظهر تعامل وسائل الإعلام التونسية مع الأزمة الوبائية، أنه تحت ضغط تغطيتها للجائحة، اضطرّت إلى أن تعقد شراكات فاعلة مع الجهات المعنية بإعلام الناس في مجالات الصحة والتعليم والتكوين ومرافق الحياة المختلفة، من أجل إيصال الخدمات الإعلامية وخاصة الحيوية منها دون إرباك وإخلال بأخلاقيات المهن المختلفة. فعلى الإعلام أن يبرهن على أنه ـ بوصفه سلطة معرفية تُنتج الأخبار والمعلومات ـ قادر على تقديم الإرشادات وممارسة التواصل الإقناعي، وألّا يكتفي بتسليط الأضواء على ما يدور في المجتمع، دون أن تتوفر في ذلك معايير الجودة الضامنة لمصداقية الأخبار ودقة مصادرها.

أظهرت الجائحة أن المؤسسات الإعلامية، وفي مقدمتها الفضائيات الإخبارية، مدعوّة إلى وضع استراتيجيات عاجلة وجادة لضمان التكوين المستمر للإعلاميين والتقنيين المنتمين إليها في أكثر من مجال. ومن الأولويات الراهنة مجال الإعلام الصحي، والبدء بإجراء دراسة جدوى إنشاء قسم الإعلام الصحي، على غرار تجارب الأقسام الرياضية وغيرها؛ من أجل توفير شروط التأهيل للقيام بأدوار الإعلام المختصّ، وما يقتضيه من مراسلين ومن تقنيّات ومناهج في تحرير المحتوى الصحي بما يتلاءم وجعلها مادة صحفية تستجيب لمعايير جودة التحرير. وبما أن الجائحة قد أدّت إلى طفرة إخبارية لا مثيل لها في الصحافة، فهي تُتيح فرصة للمؤسسات الإعلامية لتطوير نفسها وإطلاق منتجات صحفية جديدة على غرار الخرائط التفاعلية، والتقارير التفسيرية، وصحافة الأخبار عبر البيانات. ويتسنى ذلك حين تُقبل المؤسسات الإعلامية طوعا أو كرها على مراجعة بنيتها الاقتصادية والمالية، من أجل تعزيز قدراتها على الصمود ثم التطور والتكيف مع أزمنة الطوارئ والجوائح، ومراجعة آليات التصرف الإداري والتمويل، بما في ذلك رصد فرص الإعلانات التجارية وفق معايير شفافة.

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

إن المقاربة الأسلم في التعامل مع أزمة "كوفيد19ـ" وانعكاساتها على الصناعات الإعلامية في تونس وفي مثيلاتها من الدول العربية، تتمثّل في النظر إليها باعتبارها فرصة تكشف تراكم أزمات سابقة وإشكاليات متّصلة بالإعلام بشكل عام؛ في أبعادها القانونية والهيكلية والنّسقيّة والمالية. ولعلّ تلك المقاربة قادرة على استيعاب ما ينجم عن اتجاهات المهنيين نحو الأزمة باعتبارها مفضية ـلا محالةـ إلى تأثيرات حاسمة بشأن تنظيم العمل الصحفي، مع ضبابية في استقراء اتجاه التغيير، والخشية من كونه مهددًا لمهنتهم وآفاقها. في حين أن فرص العمل عن بعد، وتطوير ما يُسمّى بغرف الأخبار الموزّعة، وما تقتضيه من توظيف لآخر أجيال برمجيات معالجة النصوص والصور وكل احتياجات العمل الفني الصحفي، قد وجدت لنفسها حضورًا قويًا في إعلام الجائحة. إنّ هناك يقينا أن القيم المضافة لرقمنة العمل الصحفي وتطويره فيها مزايا الاقتصاد، والتحكم في كلفة الإنتاج، وإدارة العمل الصحفي، وإمكانية توظيف صحفيين شبّان يعملون عن بعد، دون التنقل والسكن في العواصم أو في المدن الكبرى، من أجل التحكم في تكاليف المعيشة الباهظة؛ وابتكار صيغ جديدة للاستفادة من "الميديا الاجتماعية" ووضع آليات لإدماجها في منظومات الإعلام الجديد.

خاتمة:

مثّلت تجربة تعايش التونسيين مع وباء "كوفيد- 19" سنة 2020 تجربة قاسية أبانت على جانب من خصائص الشخصية الأساسية للتونسي. فقد تبيّن أنه في عمق الأزمة الوبائية، يفرز المجتمع إما أفضل ما لديه أو أسوأ ما فيه أو كليهما معا وهو الأرجح؛ إذ بقدر ما أظهر التونسيون روحًا تضامنية عالية، وتطوّع عشرات الآلاف من الشباب للقيام بالتوعية، وتقديم الخدمات لمستحقّيها من المُسنّين والمحتاجين؛ بقدر ما طفحت لدى فئات أخرى نوازع الأنانية المفرطة، وتهديد العيش المشترك بالروح العدوانية والسلوكيات العنيفة سواءً كانت خطابًا لفظيًا أو عدوانًا جسديًا.

وتكمن أهمية دور الإعلام في إدراك الفاعلين فيه، حيث إنهم مدعوّون في زمن الأزمات إلى تأدية دور المرآة التي تعكس للمجتمع أحسن ما فيه، وتتحفّظ عن الترويج الممنهج للمظاهر السلبية، حتى تعزّز لدى المجتمع أبرز ما يبديه من قيم إيجابية للرفع من معنوياته، وتعزيز قدرته على مجابهة مخاطر الأزمة الوبائية وتداعياتها السلبية. وتؤكّد الدراسة الحالية أن إدراك الإعلاميين لأهميّة دورهم فحسب لا يكفي، بل يجب أن يكونوا محيطين بشكل جيّد بمعايير تغطية الكوارث والأزمات وما تحتّمه من تغطية للمآسي والمعاناة الإنسانية التي تعترض الصحفيين، من ذلك بشاعة تدفق ضحايا "كوفيد19ـ" على المستشفيات والمصحّات، وتكاثر أعداد الموتى، واضطرار الصحفيين مع ذلك إلى مواصلة تأمين تغطيات سريعة ودقيقة لمختلف الوقائع.

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

وأبرزت الدراسة بأنّ طبيعة الجائحة ـ وما أفرزته من ظروف ضاغطة ـ أربكت كلّ التونسيين بما فيهم الإعلاميين، وجعلتهم يعيشون أحوالاً من القلق والتوتّر، الذي قد يبرّر بعض الأخطاء البسيطة أو التقصير العرضي في العمل. لكن ذلك لا يهوّن البتة من فداحة التضليل والتلاعب بالمعلومات، التي تعدّ سلوكيات مهدّدة لنبل عمل الصحفيّين، ومناقضة لأخلاقيات مهنتهم. وقد أثبت الملاحظون أن الإعلام الجديد أكثر عرضة للإخلال بنزاهة المعلومات ومصداقيتها من الإعلام القديم الذي يخضع لقواعد تنظم العمل ولمعايير واجب احترامها. أمّا عن الجهات المخوّلة لمحاسبة الإخلال والتلاعب بمعايير جودة المحتوى الإعلامي، وخلوّها من التلاعب بالمعلومات أو تزييفها، فيمكن تعداد أكثر من جهة يمكن لها أن تؤمّن تلك الوظائف مجتمعة أو منفصلة. فتكون مسؤولية إدارية تتولاّها المؤسسة من داخلها عبر تفعيل القواعد والمواثيق المعتمدة. كما يمكن الاحتكام لهياكل المهنة للقيام بحماية أعراف المهنة، وأخيرًا يقع الاحتكام للهيئات التعديلية على غرار دور الهيئة التعديلية للإعلام السمعي البصري وما يقابلها أو يُفترض أن يقابلها في أصناف الإعلام الأخرى.

يجب على الإعلام الجديد أن يبدأ بتسريع تنظيمه كمجال للنشاط الإعلامي الحر، ولا تقع مقاربته بخلفية الضبط أو المراقبة القبلية أو التحكم في حرية التعبير، بل برؤية تهدف إلى حماية الممارسة الإعلامية الحرة من كل أشكال التلاعب بالمعلومات وتنقية الفضاء العام من كل ما يتهدّده من محظور كالمسّ بمعايير الدقّة والمصداقية والشفافية، والتأكّد من صدقيّة مصادر المعلومات.

ويحتاج الإعلام الجديد الذي يُفسِح المجال موضوعيًا لجلّ الفاعلين في المجال العام ـ وخاصة الافتراضي منه ـ إلى بلورة قواعد ضابطة لأدائه برؤية مغايرة عن تنظيم الإعلام التقليدي، لكن بتحقيق المعادلة التي تضمن الممارسة الحرة، لكن دون أن تتنصّل من مسؤولية مجتمعية تكون شريكة في بلورتها، وفي ابتكار الصيغ المحققة لمقاصدها. بينما يُقدِم الإعلام القديم الذي تتحكّم فيه تقليديا النخب الإعلامية والسياسية القريبة من نظم الحكم ـ وهذا التصنيف بصدد التغير تدريجيًا- بنفسه على التغيير والتطوير ولو بتؤدة، لأن تحرّر الإعلام والمجتمع عمليّتان متلازمتان باطّراد؛ لذلك فإن الهوّة بين الإعلام القديم والإعلام الجديد تتقلّص تدريجيا لصالح العلاقة التفاعلية والتكاملية بينهما، وتتسنّى تلك العلاقة عند الخروج من معارك التوظيف التي تحدّ من ممكنات الاستجابة لمخرجات الحتمية الديمقراطية (المبروكي، 2016، ص 126ـ125).

ختاما يمكن القول بأنّ جائحة "كوفيد ـ 19" أظهرت مزيّة أن ممكنات الإصلاح كثيرةٌ، استنادًا إلى ذروة ما أظهرته الأزمات من نقائص وثغرات. فللإعلام التقليدي كلّ فرص التطوير إذا تخلّى عن رؤيته المحافظة كسلطة تملي على الناس أذواقهم، وخياراتهم وأولوياتهم. إن نجاعة الرسالة الإعلامية وفاعليتها تكمن في المسافة التي تفصلها عن باقي السلط وخاصة السلطة السياسية، فكلّ هيمنة هي مهدّدة لجوهر الممارسة الحرّة للإعلام. أمّا شروط تطوير الأداء الإعلامي فهي بين القيمة المضافة للتكنولوجيا، وتنظيم المهنة وفق تشريع هاجسه الحرية لا التحكّم، والتمويل الذي يمثل

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

الضلع الثالث ضمن مقومات التأهيل. أما تأهيل العنصر البشري فهو الذي يعطي للمقومات السابقة قابلية الإنجاز والتحقق.

بناء على ما سبق، يتبيّن لنا بأنّ تعاطي الإعلام التونسي مع الجائحة قد كشف عن كمٍّ من الصعوبات والتحدّيات التي يعانيها، من حيث الهيكلة وتنظيم العمل وحسن إدماج التكنولوجيات الحديثة. فالحرية التي حُظِي بها الإعلاميون كقيمة لا تجد معناها إلاّ بتمثّلهم لقواعد المهنة وأخلاقياتها. ويسبّب كل خرق متعمّد لها حالة استنفار يتداعى لها كلّ الإعلاميين احترامًا لمهنتهم وحرصًا على مكانتها؛ فالتلاعب بالمعلومات والتضليل الإعلامي، هي ظواهر مرضيّة لا تنتشر إلاّ إذا ما اعترى الضمير الجمعي للإعلاميين إخلالات بيّنة. في حين أن مهنة الصحافة ونفاذها إلى أوسع قاعدة من المواطنين قِوامها مصداقية الرسالة الإعلامية، وما تكتسبه من ثقة مستدامة ومتبادلة مع جمهورها.

وعليه فإنّ تعامل وسائل الإعلام المختلفة زمن الأزمة، أنتج رصيدًا معرفيًا ثريًا إذا أُحسن استثماره وتثمينه من أجل صياغة خلاصات استشرافية حول سبل تأهيل الإعلاميين وغيرهم من الفاعلين للاضطلاع بدورهم المهني والمجتمعي في ظروف الأزمات. فالتجاوزات التي أُرتُكِبَت خلال هذه الفترة كشفت مخاطر الفوضى الإعلامية في تدبير الزمن الوبائي، ومن لا يعتبر من حدّة الأزمات بما تحدثه من تحريك للضمائر واختبار لها، يصعب أن يعتبِر من وقع الحياة العادية في روتينيّتها ورتابتها.

المراجع العربية:

ـ البغوري، ناجي (2020)، "الإعلام بين ضربات كورونا وتخلّي الحكومة"، موقع نواة، 27 أبريل 2020، الرابط: https://nawaat.org/، تمّ التصفح بتاريخ: 27 نوفمبر 2020.

ـ الجامعة العامة للإعلام (2020)، "جملة من الإجراءات لدعم قطاع الإعلام ومرافقة المؤسسات الإعلامية لمجابهة أزمة كورونا" جريدة الشروق، 6 مايو 2020، الرابط: http://www.alchourouk.com/article/ ، تمّ التصفح بتاريخ: 09 نوفمبر 2020.

ـ الدالاتي، إيمان (2020)، "الإعلام في زمن الوباء.. كيف أبلت الصحافة العربية والدولية في أزمة كورونا؟"، 2 أبريل 2020، الرابط: https://www.noonpost.com/content/36549، تمّ التصفح بتاريخ: 29 نوفمبر 2020.

ـ الدخاخني، فتحية (2020)، "الإعلام والعالم الافتراضي بعد كوفيد-19: توسّع مؤكد وتأهيل حتمي"، جريدة الشرق الأوسط العدد رقم: 15259، تاريخ 7 سبتمبر2020، الرابط: https://aawsat.com/home/article/2492356/ ، تمّ التصفح بتاريخ: 2 أغسطس 2020.

ـ الحداد، يوسف جمعة (2020)،"دور الإعلام في مواجهة الأزمات فيروس كورونا نموذجاً"، 02-04-2020 الرابط: http://www.nationshield.ae/index.php/home/details/research/ ، تمّ التصفح بتاريخ: 25 نوفمبر 2020.

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

ـ الحيدري، عبد الله الزين (2017)، "الميديا الاجتماعية: المصانع الجديدة للرأي العام"، مركز الجزيرة للدراسات، (25 يناير 2027) الدوحة. الرابط: https://studies.aljazeera.net/ar/mediastudies/2017/01/170125101407970.html، تمّ التصفح بتاريخ: 25 نوفمبر 2020.
ـ الحمامي، الصادق (2020)، "كيف غيّرت جائحة كورونا صناعة الصحافة والميديا؟"، 28 مايو 2020، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة. الرابط: https://studies.aljazeera.net/ar/article/4685 ، تمّ التصفح بتاريخ: 21 نوفمبر 2020.
ـ الطائي، معن (2011)، صناعة الخبر وأساليب التضليل الإعلامي، دار الينابيع، دمشق.
ـ اللبّان، شرف درويش (2011)، مداخلات في الإعلام البديل والنشر الالكتروني على الانترنت، القاهرة، دار العالم العربي، ط1.
ـ المبروكي، منجي (2016)، "الربيع العربي كيف نقرأ تأثير الجزيرة على مجرياته؟"، في: الجزيرة في عشرين عاما: أثرها في العالم والسياسة والأكاديميا، المولى، عزالدين والميلادي، نورالدين، ط1، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون.
ـالنقابة الوطنية للصحفيين التونسيين، "تقرير الحريات الصحفية"، 3 ماي 2020، الرابط: http://news.tunisiatv.t، تم التصفح بتاريخ: 13 نوفمبر 2020.
ـ العياضي، نصر الدين (2010)، "الرهانات الإبستمولوجية والفلسفية للبحث الكيفي نحو أفاق جديدة لبحوث الإعلام والاتصال في المنطقة العربية"، مجلة البشؤون الاجتماعية، العدد 107، الشارقة.
ـ العش، مهدي (2000)، "ضبابية الرؤية الدستورية في زمن كورونا: صراع السلطات يتفاقم في تونس"، المفكرة القانونية، 2 أبريل 2020، الرابط: https://legal-agenda.com/، تمّ التصفح بتاريخ: 17 نوفمبر 2020.
ـ بورديو، بيار (2004)، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ترجمة: درويش الحلوجي، دمشق، سوريا، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية.
ـ جريدة العرب (2018)، "ثورة تغيّر وجه العالم: حرب قيم بين الإعلام التقليدي والإعلام الاجتماعي"، 15 جوان/يونيو 2018، الرابط: https://alarab.news/ ، تمّ التصفح بتاريخ: 25 نوفمبر 2020.
ـ ونابس، المنصف (2020)، الشخصية التونسية محاولة في فهم الشخصية العربية، ط 5، الدار المتوسطية للنشر، تونس.
ـ كريشان، زياد (2020)، "التمديد بأسبوعين للحجر الصحي الشامل أفريل، الشهر: الحاسم"، جريدة المغرب، 31 مارس 2020، الرابط: https://ar.lemaghreb.tn/ ، تاريخ التصفح: 11 نوفمبر 2020.
ـ مبروك، مهدي وآخرون (2020)، مقابلة مجموعة الحوار البؤرية: فريق من الجامعيين في العلوم الاجتماعية، تنسيق المبروكي، منجي، مارس-مايو 2020، وزارة شؤون الشباب والرياضة.
ـ موران، صوفي (2009)، ملاحظة وتحليل وفهم خطاب الصحافة اليومية، (ترجمة عبد الحميد جحفة)، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون.

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

ـ منظمة الصحة العالمية (2020)، بيان مشترك مع اليونيسف ومنظمات دولية أخرى حول جائحة كورونا، 19سبتمبر2020،
infodemic-pro-19-managing-the-covid-1442-02-06/https://www.who.int/ar/news/item
moting-healthy-behaviours-and-mitigating-the-harm-from-misinformation-and-disinf
ormation , تمّ التصفح بتاريخ: 15 نوفمبر 2020.
ـ معروف، عبد (2020)، "الإعلام في زمن فيروس كورونا"، جريدة "القدس العربي"، 16 مايو 2020، الرابط:
https://www.alquds.co.u , تمّ التصفح بتاريخ: 15 نوفمبر 2020.
ـ مراسلون بلا حدود (2020)، "التصنيف في زمن كورونا"، 20أفريل2020، الرابط:،
244-/https://rsf.org/ar/news، تمّ التصفح بتاريخ: 17 نوفمبر 2020.
ـ مركز تونس لحرية الصحافة (2020)، التقرير السنوي بمناسبة اليوم العالمي لحرية الصحافة حول جائحة كورونا، 2 ماي 2020، الرابط: https://www.alaraby.co.uk/ ، تم التصفح بتاريخ: 9 نوفمبر 2020.
ـ سليني، ألبرتو (2020)، "طرح الأسئلة الجيدة لمواجهة التضليل الإعلامي"، ترجمة: مهدي الجندوبي، المرصد العربي للصحافة، 14 يناير 2020، الرابط: https://ajoar.org/، تمّ التصفح بتاريخ: 12 أغسطس 2020.
ـ عبيدات، ذوقان، وعدس، عبد الرحمن) 1998)، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، عمان، الأردن، دار الفكر.
ـ فرنسا 24 (2020)،"الحكومة التونسية تطلق تحدّي الذكاء الاصطناعي لمواجهة جائحة فيروس كورونا"، 25 أفريل 2020، الرابط: 20200425/com/ar.https://www.france24، تم التصفح بتاريخ: 19 نوفمبر 2020.
ـ قناة Dw (2020)، " جائحة كورونا تشكل تحدياً لوسائل الإعلام في العالم"، 28مارس2020،
الرابط:https://www.dw.com/ar/جائحة-كورونا-تشكل-تحدياً-لوسائل-الإعلام-في-العالم/a-52948459
تم التصفح بتاريخ: 15 نوفمبر 2020.
ـ قناةBBC عربي (2020)، ـ برنامج "نقطة حوار"، "فيروس كورونا هل ساهمت وسائل التواصل الاجتماعي في نشر الذعر والخوف؟"، 2 مارس 2020، الرابط:
52084379-https://www.bbc.com/arabic/interactivity، تم التصفح بتاريخ: 15 نوفمبر 2020.
ـ راشد، سامح (2020)، "الإعلام في زمن كورونا"، العربي الجديد، 1 يونيو2020، الرابط:
https://www.alaraby.co.uk/، تم التصفح بتاريخ: 23 نوفمبر 2020.
ـ شومان، محمد (2007)، تحليل الخطاب الإعلامي، أطر نظرية ونماذج تطبيقية، مصر، الدار المصرية اللبنانية، ط 1.
ـ خليفة، أسامة (2020)،"فيروس كورونا يوجّه ضربة غير مسبوقة للاقتصاد"، جريدة الرأي العام،24 مارس 2020، تونس. الرابط: https://array-alam.com/، تمّ التصفّح بتاريخ: 27 نوفمبر2020.

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)

المراجع الأجنبية:

_ Baribeau, Colette (2009), 'Analyse des données des entretiens de groupe', in Recherches Qualitatives: L'analyse qualitative des données. Sous la direction de Marta Anadón et Lorraine Savoie_Zajc, volume 28, numéro 1. Retrieved from: www.recherche_qualitative.qc.ca/revue.html Accessed: 27 November 2020.

تعريف بالباحث:

الدكتور منجي المبروكي، باحث تونسي، حاصل على شهادة الدكتوراه بمعهد الصحافة وعلوم الإخبار بتونس. يُدرِّس الإعلام والاتصال بالمعهد العالي لتكنولوجيا الاتصال بجامعة قرطاج. سبق له التدريس بكل من جامعة تونس وجامعة سوسة. شَغَل مديرا سابقا للإذاعة الوطنيّة وإذاعة الشباب بتونس في الفترة من 2012_2014. له عشرات المقالات العلمية المنشورة، والعديد من الدراسات الفردية والجماعية. من ضمن اهتماماته البحثية: الفضائيات الإخبارية وخاصة شبكة الجزيرة، الاعلام وتشكيل الرأي العام، الشباب وتكنولوجيات الإعلام والاتصال، الإعلام والثورات العربيّة، الانتقال الديمقراطي.
البريد الالكتروني: gmail.com@mongimabrouki9

© حقوق النشر: مجلة بحوث الإعلام والاتصال، المجلد (1)، العدد (1)، ربيع (2022)